

*
توفيق سلطان البيوزبكي

الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

ملخص

دخل المسلمون الأندلس حين كانت تغطى في ظلام جهل دامس، ولم يكن هذا الفتح الإسلامي احتلالاً عسكرياً بل كان حدثاً حضارياً هاماً. وكان موقف المسلمين من أصحاب البلاد الأصليين متسامحاً حتى غدا اليهود والنصارى مساوين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة. وامتازت الحضارة الإسلامية في الأندلس بال العناية بالآداب والعلوم والفنون وإنشاء المكتبات، وأكثروا من إنشاء الطرق والجسور والقصور والمساجد، وبرزوا في المجالات الحربية والجغرافية والفلكية والطبية. وكان فيهم أبو علم الفلك وأبو علم الجراحة في العالم. وكان لهذه النهضة العلمية آثارها على أوروبا، ونرى ذلك في الألفاظ العربية الباقية في مختلف العلوم في قواميس اللغات الأوروبية.

فكر المسلمون في تحرير أسبانيا بعد أن طردوا البيزنطيين من شمال أفريقيا، وكانت أسبانيا قبل الفتح قد ملكها الرومان حتى القرن الخامس للميلاد، ثم انقض الوندال والآلان والسويف، الذين هم من القبائل البربرية الجرمانية على أسبانيا، ولم يلبث القوط أن قهروهم واستولوا على أسبانيا في القرن السادس للميلاد وظلوا سادتها إلى أن

* - باحث عراقي.

● توفيق سلطان البيوزبكي

جاء المسلمون. وقد اختلط القوط بالسكان الأسبان - الرومانيين، فاتخذوا اللاتينية لغة لهم، وتحولوا من الآريوسية إلى المذهب الكاثوليكي، وكان اختلاط القوط باللاتينيين قبل حركة التحرير العربي مقتصرًا على علية القوم، وكان سكان البلاد الأصليين من الأرقاء، والذين كانوا مستعدين لقبول أي سلطان عليهم، كما أن التنافس على عرش أسبانيا أدى إلى نزاع سياسي اجتماعي، وفتن داخلية، وفقدان الروح العسكرية، وفتور عن الدفاع بين الأهلين المستعبدين، وكان من جراء ذلك تفرق الدولة القوطية وسهل للمسلمين تحرير أسبانيا^(١).

ونتيجة للتعاون بين العرب والبربر بعد تحرير شمال أفريقية، دخل جيش مؤلف من اثني عشر ألف جندي بلاد أسبانيا في سنة ٩٢هـ / ٧١١م وتم فتحها بقيادة طارق ابن زياد ثم القائد موسى بن نصير ٩٣هـ / ٧١٢م^(٢)، وقد وصفها القائد المسلم في رسالة للخليفة الأموي أنها: «شامية في طبيها وهوائها يمنية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جباياتها، صينية في معادن جواهرها، عدنية في منافع سواحلها»^(٣).

وتميزت الفترة الأولى من تاريخ العرب في الأندلس بين ٩٢ - ١٣٨هـ / ٧١١ - ٧٥٦م والتي تسمى (عصر الولاة) بعدم الاستقرار وانشغال الولاة فيما بينهم بالمنازعات مما مهد لدخول عبدالرحمن الداخل الأموي (صقر قريش) بعد فراره من وجه العباسيين وأسس الدولة الأموية في الأندلس بعصرها (الأمارة والخلافة) والتي امتدت من سنة ١٣٨هـ - ٤٢٢هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١م^(٤).

ولم يكن الفتح الإسلامي لأسبانيا احتلالاً عسكرياً بل كان حدثاً حضارياً هاماً وحركة تحرير للشعوب الأسبانية فقد أمتزجت حضارة سابقة كالرومانية والقوطية مع حضارة جديدة هي الحضارة العربية الإسلامية، ونتج عن هذا المزج والصهر حضارة أندلسية مزدهرة أثرت في الحياة الأوروبية وتركت آثاراً عميقة مازالت تتراءى مظاهرها بوضوح حتى اليوم.

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

وباستكمال حركة تحرير أسبانيا استقر العرب والبربر مع سكان البلاد، وكان للسلوك الاسلامي الانساني أثر كبير في تآلف القلوب إذ لم يلبث المسلمون أن أنسوا إليهم وحصل التزاوج والمصاهرة بينهم⁽⁵⁾ فنشأت طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة المولدين التي هي خليط من دم أهل البلاد الأصليين ودم العرب والبربر، كما ظهرت طبقة جديدة أخرى هي طبقة المستعربين وهم الأسبان المسيحيون الذين ظلوا على ديانتهم المسيحية، ولكنهم تعربوا بعد دراسة اللغة العربية وآدابها وثقافتها⁽⁶⁾ وأحسن المسلمون. سياسة سكان أسبانيا، فقد تركوا لهم كنائسهم وقوانينهم وأموالهم وحتى المقاضاة إلى قضاة منهم، ولم يفرضوا عليهم سوى جزية سنوية صغيرة، ولم يبق للمسلمين إلا أن يقاتلوا الطبقة الأرستقراطية المالكة للأرضين⁽⁷⁾.

وحرص المسلمون على الوفاء بعهودهم لأهل الذمة حتى في الحالات التي كان يبدو للمسلمين أنهم خدعوا فيها، وقد وفي المسلمون رغم ذلك فقال الرازي: «فمضوا (المسلمون) على الوفاء لهم وكان الوفاء عادتهم»⁽⁸⁾.

والحقيقة أن المسلمين الأولين كانوا يجرون على تسامح كريم صادر عن إيمانهم برسالتهم الإنسانية التي كان لها أثرها الكبير في اجتذاب أهل الذمة إلى الاسلام واقناعهم بعدالة الدولة الاسلامية، وهذا هو السر في إقبال أهل الذمة على الدخول بأعداد كبيرة في الإسلام، وأدى ذلك إلى دخول كثير من الكلمات الاسلامية واستعمالها بألفاظها العربية من قبل سكان الأندلس مثل كلمة الله Alah ، القرآن Alcoran ، الحديث Hadith ، الإسلام Alislam، الفتوة Alfatea، رمضان Ramadan، السنة Alsonna، السلام عليك Al-salamalec، سورة Saurate، مؤذن Muezzin، رب Rab، بركة Baraka، إبليس Elb'is، جن Djiun، حرام Haramu، زكاة Zekkat، هجرة Hegira، طلسم Talisema، وقف Wakouf، خراج Carath⁽⁹⁾.

لقد أثر المسلمون في أخلاق الشعوب النصرانية فقد علموهم التسامح الذي هو أثنى صفات الإنسان، وبلغ حلم مسلمي الأندلس نحو الأهليين مبلغًا كانوا يسمحون

● توفيق سلطان البيوزبكي

لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر أشبيلية الذي عقد سنة ٧٨٢م، ومؤتمر قرطبة الذي عقد سنة ٨٥٢م، وتعد كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم الإسلامي من الأدلة على احترام المسلمين لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم، فغدا اليهود والنصارى مساوين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة^(١٠).

وفي مثل هذا الجو من التسامح أصاب البلاد الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي بحيث أصبحت الأندلس أكبر قوة سياسية في المنطقة، وعلى الرغم من هذا التسامح العظيم، فقد ظهر فرق واضح بين هذه السياسة المتسامحة، وبين سياسة الاضطهاد الأعمى الذي وقع على المسلمين بعد سقوط الأندلس، حيث ذبح نصارى الأندلس أعداداً كبيرة من المسلمين، وحتى أنهم رفضوا تنصر من تنصر منهم لعدم الثقة بهم وبنواياهم^(١١). ولم يكف العرب يتمون تحرير أسبانيا حتى بدأوا بتطبيق رسالتهم الإنسانية في الحضارة فاستطاعوا في أقل من قرن أن يحيوا ميت الأرضين، ويعمروا خراب المدن ويقيموا أفخم المباني، ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى، وشرعوا بدراسة العلوم والآداب وترجمة كتب اليونان واللاتين، وإنشاء الجامعات التي ظلت وحدها ملجأً للثقافة في أوروبا زمنًا طويلاً، وأخذت حضارة المسلمين تنهض في الأندلس منذ ارتقاء عبدالرحمن الأول العرش، أي منذ انفصالها عن الشرق سياسياً باعلان إمارة قرطبة سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م فغدت الأندلس أرقى دول العالم حضارة مدة ثلاثة قرون^(١٢).

امتازت حضارة المسلمين في الأندلس بميلها الشديد إلى العناية بالآداب والعلوم والفنون، فأنشأوا المدارس والمكتبات في كل ناحية وترجموا الكتب المختلفة، ودرسوا العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية والكيميائية والطبية بنجاح ولم يكن نشاطهم في الصناعة والتجارة أقل من ذلك، فكانوا يصدرون منتجات المناجم ومعامل الأسلحة، ومصانع النسيج، والجلود والسكر وبرعوا في الزراعة براعتهم في العلوم والصناعات، ولا يوجد في الأندلس من أعمال الري خلا ما أتمه العرب، وأدخلوا إلى حقول الأندلس

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

زراعة قصب السكر والأرز والقطن والموز^(١٣).

وأكثرها من إنشاء الطرق والجسور والفنادق والمشاتي والمساجد في كل مكان، وكانت البحرية الإسلامية في الأندلس قوية جداً، وبفضلها كانت تتم صلات المسلمين التجارية بجميع مرافئ أوروبا وأفريقيا وآسيا، وظل المسلمون وحدهم سادة البحر المتوسط زمناً طويلاً^(١٤). فانشأوا أسطولاً ضخماً لمواجهة قوة الأسطول البيزنطي، ولضمان أمن السواحل العربية من هجماتهم، كما اتخذوا من بعض جزره القريبة من السواحل الإسلامية مراكز بحرية للأسطول الإسلامي، منها كريت وصقلية، ومالطة، وجزر البليار، وجزر قبرص وسردينية، فكانت قبرص تحمي شواطئ سوريا، وكريت تحمي شواطئ مصر، كما تحمي صقلية شمال أفريقيا، وتحمي جزر البليار الأندلس، فأصبحت الشواطئ الإسلامية في أواخر القرن التاسع للميلاد في مأمن من أي غزو بيزنطي^(١٥) فازدهرت التجارة مما أدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية وتمكين المسلمين في الأندلس من الاتصال بالعالم الخارجي.

فالحضارة الإسلامية في الأندلس مرت بأدوار، وخضعت لمؤثرات حضارية منها ما ترجع أصولها إلى الأم (الحضارة الإسلامية في المشرق) كما خضعت أيضاً لمؤثرات حضارية محلية بحكم البيئة التي نشأت فيها وبدرجة محدودة.

فالنظم السياسية والادارية والعسكرية والمالية كانت صدى للنظم القائمة في العراق والشام، فأقاموا نظام الأمانة ثم الخلافة على غرار النظم العربية في المشرق، كما استحدثوا نظام الوزارة والدواوين كتلك التي كانت سائدة أيام الخلافة العباسية في بغداد، لكنهم طوروا في هذه المناصب، وخاصة الوزارة، حيث أصبحت متعددة المناصب ولها رئيس وزراء وهو الحاجب. كما عرف الأندلس نظام الأجناد أو (الكور المجندة) التي ينزلها الجند ويقابلها الثغور، يحكمها قائد عسكري، فنزل جند دمشق في كورة البيرة، وجند حمص في كورة أشبيلية وجند الأردن في كورة مالطة، وجند قنسرين في كورة

● توفيق سلطان البيوزيكي

باجة، وبعضهم بكورة ندمير، فهذه منازل العرب الشاميين، وبقي العرب والبربر والبلديون شركاءهم^(١٦).

وتحدث الجغرافي العربي المقدسي: عن التقسيمات الإدارية في الأندلس فقال: إن في الأندلس ثمان عشرة كورة أورستاق كما في الشرق^(١٧). وهذه التقسيمات الإدارية تنطبق على تعريف ياقوت للكورة والرستاق^(١٨).

كما نقل عرب الأندلس من المشرق نظام الوزارة وطوروه وقسموا خطتها أصنافاً وأفردوا لكل صنف وزيراً، فجعلوا لحسبان المال وزيراً، ولترسيل وزيراً، وللنظر في أحوال الثغور وزيراً، وهذا التعدد في مناصب الوزراء لا نجد في نظام الوزارة في المشرق العربي حيث كانت السلطة مركزة في يد وزير واحد لها رئيس وزراء وهو الحاجب الذي يتصل بالخليفة مباشرة^(١٩).

وبعد سقوط الدولة العربية الأموية، وقيام الدولة العباسية قام العباسيون بمطاردة الأمويين فاستطاع الأمير عبدالرحمن الأموي الدخول إلى الأندلس ولقب (بالداخل) وأعاد تأسيس الدولة الأموية في الأندلس، فعادت قرطبة تأخذ مكانتها بين عواصم العالم المتحضر آنذاك في مجال السياسة والثقافة والعمارة وجميع مظاهر الحياة الحضارية، وصارت مقر الخلافة، وموطن أهل العلم والأدب، فقد عمل الأمراء الأمويون في الأندلس على تشجيع العلوم العربية، ونقلوها معهم من المشرق العربي وكان لها أثرها الكبير في النهضة الأوربية.

وقد ترك الوجود الاسلامي في الأندلس طابعه في مختلف مجالات الحياة ففسي الإدارة نجد كلمات في اللغات الأوربية بألفاظها وأصوفا العربية مثل خليفة Calife، أمير Emir، والي Vali، وزير Visir، رئيس Reis، القاضي Alcaede، المحتسب Almotocie، الحاجب Alhaque، صاحب المدينة Falmedina، صاحب السوق Fabasouquae^(٢٠)، ديوان Diuan، ولاية Vilaget^(٢١).

كما انتقلت كثير من الكلمات والألفاظ العسكرية في الأندلس إلى أوربا مثل: القائد

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

A. Alcaide، أمير البحر Adbuirate، الدليل Aldalil، الطلائع Alataya، القارة A. Igurde، الطائفة Aceifa، العرض Alarde، الرباط Rabate، نفير Anafir، الفارس Alfaro، الدرقة Aldorgu^(٢٢)، بارود Baroud، طراد Tarffe، جيش Djech، غزوة Rozzia، مرابط Marabout، حرثة Caraque^(٢٣).

اهتم عبدالرحمن الداخل بتنظيم قرطبة لتتلاءم وعظمة الدولة فجدد معانيها وشد مبانيها وحصنها بالسور، وابتنى قصر الأمانة، والمسجد الجامع ووسع فناءه، ثم ابتنى مدينة الرصافة^(٢٤) وفق فن العمارة الإسلامية في الشام سواء في زخارفها المعمارية أم في بعض عناصر بنائها، وفي نظام عقودها، كما بنى قصر الرصافة ونقل إلى مدينته غرائب الفرس وأكارم الثمر، فانتشرت إلى سائر أنحاء الأندلس^(٢٥).

وكان جامع قرطبة في غاية العظمة في بنائه وهندسته وأصبح أعظم جامعة إسلامية في أوروبا في العصر الوسيط، فكان البابا سلفستر الثاني قد تعلم في هذا الجامع يوم كان راهباً كما أن كثيراً من نصارى الأندلس كانوا يتلقون علومهم العليا فيه، واستأثر المسجد في الأندلس بتدريس علوم الشريعة واللغة إضافة إلى العلوم الأخرى^(٢٦).

وأسس العرب في الأندلس الكتابات لتعليم الصبيان اللغة العربية وآدابها ومبادئ الدين الإسلامي، على غرار نظام الكتابات في المشرق العربي واتخذوا المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين اللغة العربية ومبادئ الإسلام^(٢٧).

أما المناهج الدراسية في الأندلس فقد أشار إليها ابن خلدون بقوله: «وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتابة وجعلوه أصلاً في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم الولدان رواية الشعر، والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها، وتجربة الخط والكتابة... إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شد بعض الشيء في العربية والشعر وأبصر بهما، وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة^(٢٨)».

واهتم الخلفاء في الأندلس بتأسيس المكتبات فنقلت من كتب المشرق العربي الشيء

● توفيق سلطان البيوزيكي

الكثير من الكتب وشارك الرحالة من الأندلسيين في ذلك وقام العلماء والطلاب في نقل الكتب وأقبلوا على ترجمتها في مختلف صنوف العلم والمعرفة فيذكر ابن جليل: أن الكتب الطبية دخلت من المشرق وجميع العلوم على عهد الخليفة الناصر سنة ٣٠٠هـ - ٣٥٠هـ^(٢٩). وأنشأ المستنصر بالله ٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ مكتبة عظيمة فقد كان عالماً منصرفاً إلى العلم والقراءة واقتناء الكتب النادرة من بغداد ودمشق والقاهرة، وأنشأ مكتبة تحوي على ما يربو على ٤٠٠ ألف مصنف في شتى العلوم والفنون، كما أنشأ داراً لنسخ الكتب وأودعها بمدينة الزهراء^(٣٠).

كما ألف الأندلسيون في علوم القرآن والحديث والفقه، وفي القضاء واللغة وآدابها وعلومها والمعاجم والتراجم، والتاريخ والسيرة والجغرافية، وألفوا في علوم الطب والحساب والهندسة والفلك والكيمياء والمنطق والفلاحة والملل والنحل، وفي الفلسفة والموسيقى، بحيث لم يتركوا حقلاً من حقول العلم والمعرفة إلا طرقتها^(٣١). وقد برز جملة من العلماء نذكرهم على سبيل المثال لا الحصر منهم عبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨هـ) ألف كتابه الموسوم التاريخ مخطوط ومحفوظ في مكتبة البودليانا في أكسفورد تناول فيه تاريخ العالم من بدء الخليقة حتى فتح الأندلس وإلى عصره هو^(٣٢)، والعالم اللغوي أبا علي القالي الذي وفد على الأندلس في أيام عبدالرحمن الناصر سنة ٣٣٠هـ وأصله من العراق، ومن أهم أعماله كتاب الأملالي وهو عبارة عن محاضرات أملاها على تلاميذه الأندلسيين في مسجد قرطبة، ويتضمن فصلاً عن العرب ولغتهم وشعرهم وأديهم وتاريخهم وألف أبو بكر محمد المعروف بابن القوطية (ت ٣٦٧هـ) كتاباً في تاريخ الأندلس أسماه تاريخ افتتاح الأندلس نشره المستشرق الأسباني جوليان رايبيرا سنة ١٨٦٨م، وله كتاب في النحو يعرف بكتاب الأفعال^(٣٣) ومن شيوخ ذلك العصر العالم المغربي محمد بن حارث الخشني (ت ٣٦١هـ) الذي ألف كتاب القضاة بقرطبة تناول فيه الحياة الاجتماعية في الأندلس نشره المستشرق الأسباني رايبير^(٣٤) وألف ابن حزم العديد من الكتب في أنساب العرب، وفي علماء الأندلس، وفي تاريخ الأديان وأبرز ما

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

ألف في هذا المجال هو كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل^(٣٥).

ومما ساعد على انتشار الكتب وازدهار الحياة العلمية انتشار صناعة الوراقة في الأندلس حيث تولى الوراقون نسخ ما يظهر من مؤلفات، كما اشتهرت الأندلس بمصانع الورق، وتميزت بهذا الانتاج بعض المدن مثل غرناطة وبلنسية وطليلة، وشاطبة، وقد حاز مصنع شاطبة شهرة واسعة في صناعة الورق الجيد^(٣٦). وقد نقلها مسلمو الأندلس من بغداد التي أنشئت عام ٧٩٤م كما انتقلت منها بواسطة مسلمي صقلية والأندلس إلى أوروبا^(٣٧).

واتجه أهل الأندلس الذين اعتنقوا الاسلام خاصة إلى تعلم العربية وإلى إقبالهم على تعلم العلوم الاسلامية، واتسع بمرور الزمن عدد الداخلين في الإسلام وأخذ طلاب العلم يرتحلون بشكل خاص إلى الجامعات الإسلامية في الأندلس والاختلاط بالسكان مما ساعد على انتشار اللغة العربية، ونتج عن ذلك ظهور لغة عربية عامية دخلتها بعض الكلمات الأسبانية^(٣٨) كما نتج عن انتشار اللغة العربية بين الأندلسيين اختراع فن شعبي أندلسي جديد، هو فن «الموشحات» ويقال: إن مخترع هذا الفن رجل ضير من بلدة قبره Cabra بجوار قرطبة اسمه مقدم بن معافي القبري الذي عاش في أواخر القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد ويعتبر هذا الفن الجديد ثورة في الشعر العربي، وإذا كان المشرق العربي قد أعطى مغربه فن القصيدة الشعرية، فإن المغرب العربي، وأعني الأندلس، قد أعطى المشرق العربي فن «الموشح» ويلاحظ في الموشح أنه لم يلتزم بنظام القوافي الموحد كالقصيدة الشعرية، وإنما اشتمل على قوافي متعددة كذلك لم تكن وحدة البيت الشعري، وإنما المقطوعة الشعرية التي تتكون من غصن وقفل، ويسمى القفل الأخير بالخرجة، والتي تكون باللغة العامية الدارجة، ولم يلبث هذا الفن الجديد أن انتشر في المغرب والمشرق، وتفنن الشعراء في صياغته حتى صارت الموشحة كالقصيدة الشعرية واستخدمه الصوفية في مدائحهم وأذكارهم^(٣٩).

وقد أثرت الأغنية الشعبية العربية في الشعر الأوربي باسم الشعر البروفنسي الذي

● توفيق سلطان البيوزبكي

كان ينشده المتروبادور أي (المغنون المتجولون) في جنوب فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وغيرها من البلدان الأوربية، واستحدثوا فنًا آخر سموه «الزجل» وجاءوا فيه بالغرائب، وهذه الطريقة الزجلية هي فن العامة بالأندلس، وهم ينظمونه في سائر البحور للخمسة عشر بالعامة^(٤٠).

وكان كبار العلماء والأدباء والشعراء يلتقون في قصور الخلفاء والأمراء في الأندلس فكانت بمثابة منتديات زاهرة، ومجامع للعلوم والآداب والفنون^(٤١).

ولم فحول الشعراء والأدباء في الأندلس كابن عبد ربه وابن حزم وابن زيدون وابن خفاجة وكانت النتيجة من إزدهار الحياة الأدبية أن انتشرت اللغة العربية والثقافة الإسلامية والعادات والتقاليد العربية الإسلامية في أوروبا وقد زخرت الألفاظ العربية في اللغة الأسبانية والقونية والفرنسية^(٤٢) حيث أقبل أهل الذمة من الأندلسيين على تعلم العربية ويبدو أن الاستعراب كان قد سبق الإسلام، فقد اختلط أهل الذمة بالمسلمين، وأخذوا لغتهم وأسلوبهم في الحياة، وأقبلوا بصورة تدريجية على الإسلام وأظهروا تفوقًا في العربية بل تفوق منهم في الفقه فذكر ابن الفرضي «أنه كان من مسالمة أهل الذمة من ملاء أشبيلية علمًا وبلاغة ولسانًا حتى شرفت به العرب»^(٤٣) وقد أثار اقبال المسيحيين على الثقافة الإسلامية حسد القساوسة ورجال الدين الذين كانت لهم أديرة وكنائس في شتى أنحاء الأندلس فأخذوا يعيبون على الشباب المسيحي إقباله على قراءة اللغة العربية وتركه اللغة اللاتينية^(٤٤).

واشتهرت الأندلس بالمنشآت المعمارية العظيمة، ويعد جامع قرطبة الذي بني في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، وبعض المباني في طليطلة من آثار الدور الأول لفن العمارة في الأندلس، كما تعد منارة أشبيلية (لعبة الهواء) التي أنشأها الموحدون في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد والقصر الأشبيلي من آثار الدور الوسيط لفن العمارة، كما يعد قصر الحمراء في غرناطة الذي شيد في القرن الثامن للهجرة/ الرابع

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

عشر للميلاد عنواناً لما انتهى إليه فن العمارة ويرى لوبون أنها تدل باختلاف طرزهما على أصالتها الإسلامية^(٤٥).

ومن المباني العظيمة في الأندلس مدينة الزهراء التي شيدها عبدالرحمن الناصر على بعد ثمانية كيلومترات شمال غرب قرطبة على سفح جبل العروس وما زالت تحتفظ باسمها العربي في اللغة الأسبانية، وبنى فيها قصره المشهور بقصر الحمراء^(٤٦). وظهرت فيه عظمة فن الهندسة عند المسلمين، وفن الزخرفة والنقوش والنحت، وقد وصفها الأديبي بقوله: وهي (الزهراء) مدينة عظيمة مدرجة البنية، مدينة فوق مدينة، وفيها قصور يقصر الوصف عن صفاتها^(٤٧).

ويروى ابن عذاري: أن أعمدة الرخام في الزهراء بلغت حوالي ٤٣١٣ سارية جلبت من قرطاجة وتونس والقسنطينية وما وجد في أسبانيا^(٤٨). ومن المباني التي تركها المسلمون في أسبانيا جامع قرطبة الشهير الذي بدأ بإنشائه عبدالرحمن سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م، وهو من أجمل المباني في أسبانيا، وكان يفوق جميع مساجد ومعابد الشرق قاطبة بعظمته وروعته، ولا يزال جامع قرطبة من المباني المهمة مع ما أصيب من التلف وما فقد من الأشياء الثمينة فيه^(٤٩).

والمستطلع إلى المباني في طليطلة يرى مدى التأثير الحضاري الإسلامي في الأمم التي حلت محلهم، فمدينة طليطلة القديمة لا تزال تحيط بها أبراجها وحصونها وأبوابها أشهرها (باب شفره) و(باب الشمس) والمباني الإسلامية في أشيلية عظيمة تناظر مثيلاتها في مدن الأندلس^(٥٠) وكلها تدل على أصالتها العربية. واستعملت الكثير من الألفاظ أو التسميات العربية في مجال العمارة في الأندلس وأوروبا مثل البناء Albaenie، الربيض Arrba، الحوز Alhoz، السطحية (السطح) Azatea، القبة (غرفة النوم) Aleobe، الأسطوان (مدخل البيت) Fayuon، الطوب Adube، القصر Alcosar^(٥١)، مسجد Mosuqee، منبر Minbar، منارة Minaret، محراب^(٥٢) Mihrab.

إن الحضارة الإسلامية التي نشأت في الأندلس، وازدهرت لم تقف عند حدود

الأندلس فاستمرت العلاقات الاقتصادية والثقافية والحضارية بين الأندلس وأوروبا وبينها وبين الشرق وبيزنطة، ولم تنقطع رغم وقوع حروب بحرية وبرية طويلة، فالتبادل التجاري بين أسبانيا الإسلامية وبين الشرق وبيزنطة تظل مستمرًا، وعن هذه الطرق انتقل التراث الحضاري الإسلامي في العصور الوسطى إلى أوروبا ولا يمكن إدراك أهمية شأن المسلمين في الغرب إلا بتصور حالة أوروبا حينما أدخلوا الحضارة إليها فيقول لوبون: إذا رجعنا إلى القرن التاسع من الميلاد وما بعده، حيث كانت الحضارة الإسلامية في أسبانيا ساطعة جدًا رأينا أن مراكز الثقافة في أوروبا كانت أبراجًا يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون، وإن أكثر الرجال معرفة كانوا من الرهبان المساكين الذين يقضون أوقاتهم في أديارهم ليكشطوا كتب الأقدمين بمخشوع، ودامت همجية أوروبا حتى القرن الحادي عشر حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم.

ولم تكن الحروب الصليبية سببًا في إدخال العلوم إلى أوروبا كما يردد على العموم، وإنما دخلت العلوم أوروبا من أسبانيا وصقلية وإيطاليا، وذلك أن مكتبًا للمترجمين في طليطلة بدأ منذ سنة ١١٣٠م بنقل أهم كتب المسلمين إلى اللغة اللاتينية تحت رعاية رئيس الأساقفة ريمون، ولم يتوان الغرب في أمر هذه الترجمة^(٥٣) فقد تدفقت العلوم الإسلامية على أوروبا من خلال الأندلس بعد أن فتح المسلمون الطريق عبر جبال البرت إلى فرنسا وإيطاليا، حيث عبر العلم والفلسفة الإسلاميان من خلال رأس الجسر الثقافي الذي أقيم في شبه جزيرة ايبيريا إلى أوروبا^(٥٤).

وظهر التأثير العربي في فن العمارة في الأندلس وأوروبا، فكان الطراز السائد قبل تحرير أسبانيا هو الطراز القوطي، ولكن أقيمت في الأندلس في القرن الثالث عشر والرابع عشر المدن والمساجد والقصور على الطرز الإسلامية مما يدفعنا على الاقترار أن الغرب اقتبس أصول فن عمارته من المسلمين، إذ ليس هناك من مشابهة بين الطراز الإسلامية والطراز القوطي وإن تأثير فن العمارة الإسلامية واضح في كثير من الكنائس الفرنسية

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

ككنيسة مدينة (ماغلون) ١٧٨م، التي كانت ذات صلات بالشرق، وكنيسة (كانده) وكنيسة (غاماش)... إلخ، وألمح مسيو شارل بلان إلى ما اقتبسهُ الأوروبيون من المسلمين في فن العمارة بقوله: أرى من غير مبالغة فيما لأمة من التأثير في أمة وذلك خلافاً لما يسار عليه اليوم أن الصليبيين الذين شاهدوا ما اشتمل عليه الفن الإسلامي من المشربيات، وشرفة المآذن، والأخاريز أدخلوا إلى فرنسا المراقب والجواسق والأبراج والأطناف والسياجات التي استخدمت كثيراً في العمارات المدنية والحربية في القرون الوسطى (٥٥).

لقد كان للاستقرار السياسي والاجتماعي، والرفاء الاقتصادي والتقدم العلمي والعمري أثره الكبير في نشاط وازدهار التجارة في الأندلس، وأدى الاتصال التجاري بين الشرق والغرب وبين الأندلس وأوروبا إلى دخول مفردات وألفاظ عربية كثيرة وأسماء منتجات وسلع تجارية ومكاييل ومقاييس وأوزان وعملات كانت تستعمل في التجارة إلى اللغة الفرنسية واللغات الأوربية مثل السوق Souk، ميناء Cabar، فنار Fanal، سمسار Cemcal، دكان Dogana، الديوان (الكمرك) Aduoma، مخزن Magozzia، معرفة (شركة تجارية) Maond، مخاطرة Moatra، التعريفة Tarifa، المناداة (المزايدة) Almoneda، ومن الألفاظ الأخرى التي كانت تستعمل في التجارة العملات والمقاييس والمكاييل والأوزان مثل: دينار Dinar، درهم Adorme، السكة Ceea، قنطار Kantar، قيراط Corat، مثقال Molacal، عشر Achour، أردب Ardib، القفيز abis، المد Almud، الرطل Arreelde، الربعة Arraba (٥٦).

وعلى الرغم من وجود عدد هائل من الكلمات العربية في اللغة الانكليزية واللغات الأوربية الأخرى في مجالات العلوم المختلفة، إلا أننا نرى أن عدد هذه الكلمات في العلوم الرياضية قليل جداً، ولا يعني هذا أن المسلمين لم يؤثروا كثيراً على أوروبا في مجال العلوم الرياضية ولكن العكس صحيح، إلا أن معظم الكتابة في هذه العلوم يعتمد على الرموز والأحرف بالاضافة إلى أن الأرقام الأوربية الحالية مأخوذة أصلاً عن طريق

● توفيق سلطان البيوزيكي

العرب وما زالت تسمى بالأرقام العربية ومثلاً على ذلك: الجبر Algebra، الخوارزمي (المقصود به الحساب) Algursime، المقابلة Almohabel، المجسطي Cipher، الصفر Cipher،^(٥٧) وكلمة الصفر العربية تدل على انتقال طريقة الحساب العربي واستعمالها من قبل الأوربيين.

وازدهر علم الهيئة (الفلك) عند المسلمين في الأندلس لم حاجتهم إليه في تحديد القبلة وتعيين أوقات الصلاة، وقد تطور هذا العلم إلى دراسة حركات النجوم، وظهور حركة التنجيم، واخترعوا الساعات الشمسية لمعرفة الأوقات، فقد صنع عباس بن فرناس أول آلة (وهي نوع مبتكر من الساعات)^(٥٨).

ويبدو من مجرد النظر في المصطلحات الفلكية العديدة ذات الأصل العربي يدلنا على أن الغرب مدين لما قام به المسلمون من دراسات فلكية؛ لأن معظم هذه الأسماء قد تركت في الوقت الحاضر واستعيض عنها بأسماء غيرها ومن هذه الأسماء العذاري Adara، السها Alcor، الجنب Algenib، الفكة Alphacca، الجبهة Algieba، عرش الجوزاء Arsh، بنات نعش Benatnasch، السرطان Cancer، الكلب الأكبر CamisMa,or، الكلب الأصغر Camis Minor، ذنب الدواجن Deneb، ذنب الجدي Deneb Elokab، ذنب العقاب Daneb Elkab، النصل Elnasl، الراعي التنين Etanin، فم الحوت Famu Lhout، رأس الأسد Res Al Saod، رأس الثعبان Res toban، سعد الملك Saod Al Melik، سعد السعود Saod Saoud، العذراء Virgo، قرن الثور Tauri، السموات amwet^(٥٩).

ولمس الأوربيون بشكل جلي الجهود العلمية البارزة التي بذلها مسلمو الأندلس في علم الكيمياء فوصلت إليهم ثروة كبيرة من المعرفة والحقائق، والتجارب والنظريات العلمية، فأخذ طلاب الغرب يقبلون على دراستها وترجمتها إلى لغاتهم فحفزت فيهم روح البحث والشغف باستقراء الحقائق وتتبعها، فزاد اطلاعهم على هذا النتاج العلمي الخصب، واعتمدوا الأدلة والبراهين في قضايا العلوم الطبيعية، فبدأت أوربا بمحوثها في

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

هذا المجال على أساس واقعي سليم وبناء نظري منسق وكان ذلك بفضل الانطلاق العربي في البحث العلمي والابتكار.

وثمة كلمات عربية مستعملة في اللغات الأوربية في حقل الكيمياء تدل على جهود المسلمين في هذا العلم عند الغربيين^(٦٠) الكيمياء Alchemy، الكحل Alcuhal، زرنخ Arsenic، بورق Barax، الاكسير Elixir، قرمز Kermes، كبريت Kibruit، الانبيق Linbick، نפט Naphta، عطر Attar، الزئبق Assoguc، قطران caudran، بنج Bang، سموم Simouim^(٦١).

ولم يقتصر الأندلسيون على العلوم العملية بل كانت لهم دراسات في علوم أخرى كالفيزياء، وعلم العقاقير، والزراعة (علم الفلاحة) والذي أبدعوا فيه وصنفوا التصاميم المشهورة، مسجلين ما توصلت إليه تجاربهم في النباتات والتربة^(٦٢)، ويعد عباس بن فرناس القرطبي واحداً من عباقرة العرب المسلمين الذين استطاعوا تحقيق أروع الكشوفات في ميادين العلوم التجريبية وأن يمهّدوا باكتشافاتهم العظيمة الطريق للأجيال اللاحقة من علماء العصر الحديث^(٦٣).

وأثمرت جهود المسلمين في تطوير علم الطب وتأثرت ثقافة الغرب الطبية تأثراً عميقاً بما اقتبسه من العرب في هذا المضمار^(٦٤).

والمسلمون أول من مارسوا عمليات الجراحة في العالم إطلاقاً، ووضعوا المؤلفات فيها وفي طرقها، والأمراض التي يجب استئصالها والآلات والأدوات التي تستعمل^(٦٥) وهم أول من اكتشفوا وسائل التخدير، وأنشأوا المستشفيات، وقسموها قسمين: قسم للرجال والنساء، وقسموا كل قسم إلى أقسام على حسب المرض، وأقاموا المعازل لعزل المرضى المصابين بأمراض معدية بل أن للمسلمين الفضل في إنشاء المستشفيات المتنقلة^(٦٦). وأنجبت الأندلس أشهر جراح هو أبو القاسم الزهراوي سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م فكان طبيباً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وله تصانيف في الطب وأفضلها كتابه الكبير المعروف بـ الزهراوي ومن مؤلفاته الأخرى كتاب التصريف^(٦٧) ويذكر الدوميلي أنه

● توفيق سلطان البيوزبكي

«أشهر أطباء الأندلس وأعظم أطباء المسلمين أيضاً.. وكان أعظم الجراحين. وكتابه التصريف عبارة عن دائرة معارف طبية كبيرة، ويمكن أن يميز وفي هذا الكتاب قسم في الطب وقسم في الصيدلة وقسم في الجراحة طبع في ثلاثة أجزاء حصلت على أعلى درجات التقدير في أوروبا^(٦٨) وترجم إلى العبرية واللاتينية والانكليزية، وأعيد طبع النص العربي في الهند سنة ١٩٠٨^(٦٩) والزهرابي أول من ربط الشرايين واستأصل حصى المثانة في النساء عن طريق المهبل وأول من أوقف النزيف ونجح في عملية شق القصبة الهوائية، وبحث في التهاب المفاصل، واكتشف آلة لتوسيع باب الرحم للعمليات ولقب بـ «أبو الجراحة»^(٧٠).

ومن أطباء الأندلس المشهورين أحمد بن يونس بن أحمد الحراني الذي تولى إقامة «خزانة للطب لم يكن قط مثلها، ورتب لها اثني عشر طبياً، وكان يعالج المحتاجين والمساكين من المرض»^(٧١). وكان يشارك الحراني عدد من الأطباء في القيام على خزانة الطب (الصيدلية) فقد كان «ديوان الأطباء» فيه أسماءهم ومربتاتهم^(٧٢). كما اشتهر أطباء الأندلس بطب الأسنان وجراحاتها، وفي تركيب الأدوية، وأشهر من برز فيهم في هذا العلم ابن البيطار.

وأما في مجال علم الفلك والهندسة والرياضيات عامة فقد توصل علماء العرب في الأندلس إلى حقائق علمية رائدة، في علم الفلك (علم الهيئة) منهم صاحب القبلة أبو عبيدة البلنسي (٢٩٥هـ - ٩٠٧م) الذي قال بكروية الأرض واختلاف المناخ في أنحاءها^(٧٣).

إن اهتمام العرب في الأندلس بالفلك كان مقتصرًا على رصد الكواكب وحركاتها وعلاقتها بالكسوف والخسوف، وكذلك لمعرفة علاماتها بالحرب والسلام والظواهر الطبيعية، كما أن ارتباط بعض أحكام الدين الإسلامي بالظواهر الفلكية جعل العرب يهتمون بأمور علم الفلك، فافتضى معرفة المواقع الجغرافية للبلدان، ومركز الشمس في البروج، وذلك لاختلاف أوقات الصلاة ومعرفة سمت القبلة^(٧٤).

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

وطبق المسلمون النظريات الهندسية على فن البناء فشيّدوا الأبنية التي تميزت بالفخامة والالتقان والمتانة كالمدين والقصور والجوامع، ومنها مدينة الزهراء وجامع الزهراء وقصور الحمراء، والنافورات المائية، بالإضافة إلى عنايتهم بالنقوش والزخارف، كما اهتموا بهندسة الري أيضاً وذلك لأن تنظيم الري يتطلب معرفة دقيقة بمستوى الأرض وانحدارها وبكمية الماء وسرعة مجراها، ومواد البناء وطرق بنائها^(٧٥). أما فيما يخص اهتمامات المسلمين في الأندلس بالنبات فيرجع إلى القرن الأول للهجرة فقد عني علماء النبات المسلمون بوضع الأسماء للكثير من النباتات، فوضع الطبيب الأندلسي ابن جلجل كتاباً عن الأشياء التي أغفلها غيره، والحق هذا الكتاب بكتاب ابن باسيل المترجم فجاء الكتابان مؤلفاً كاملاً، وسيراً على هذا المنهج التجريبي استطاع العلماء العرب دراسة الكثير من النباتات الطبيعية التي لم يسبقهم إلى دراستها أحد وأدخلوها في العقاقير الطبية^(٧٦) واستطاعوا أيضاً أن يستولدوا بعض النباتات التي لم تكن معروفة أيضاً كالورد الأسود، وأن يكسبوا بعض النباتات خصائص العقاقير في أثرها الطبي^(٧٧).

ومن مشاهير علماء المسلمين في النبات في الأندلس أبو جعفر محمد بن أحمد الغافقي (ت ٥٦١هـ / ١١٦٠م) كان أعلم عصره بالأدوية المفردة ومنافعها وخواصها، له كتاب في الأدوية المفردة، وقد وصف النباتات في غاية الدقة بالإضافة إلى أنه ذكر أسماءها باللغة العربية واللاتينية والبربرية، فعد من أعظم الصيدليين أصالة وأرفع النباتيين مكانة في العصور الوسطى، وقد أخذ منه ابن البيطار نصوصاً كثيرة^(٧٨).

ومن علماء النبات والأدوية في الأندلس أبو العباس بن الرومية (وهو أحمد بن محمد بن مفرج النباتي) (ت ٦٣٨هـ - ١٢٤٠م) من أهل أشبيلية أتقن علم النبات والأدوية وساح في الأقطار العربية كمصر والشام والعراق وروى كثيراً عن النباتات التي شاهدها ووضع كتاباً في تركيب الأدوية^(٧٩). وممن برز في علم النبات والعقاقير الطبية ابن البيطار أبو محمد عبدالله بن أحمد المالقي (ت ٦٤٦هـ - ١٢٤١م) زار المغرب وشمال أفريقيا

● توفيق سلطان البيوزبكي

ومصر وسوريا وآسيا الصغرى واجتمع مع ابن أبي أصيبعة في دمشق، واشتغل معه في جمع النباتات ودراستها في بلاد الشام ومن مؤلفاته كتاب (الجامع في الأدوية المفردة) استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وأسماءها ومنافعها^(٨٠).

وتحفل كتب التراث والتاريخ بأسماء العديد من علماء النبات والعقاقير الصيدلانية الذين عاشوا في الأندلس، وتركوا كتباً قيمة في النباتات وصناعة الأدوية والعقاقير زاد عددهم على ١٥٠ عالماً^(٨١) وقد استعملت كتبهم قروناً عدة كدستور للصيدلة وبكلماتها العربية في حقل النبات والصيدلة في أوروبا^(٨٢).

إن التراث الاسلامي الزراعي ظهر بصورة واضحة في جنوب أوروبا، فقد أدخل العرب في أسبانيا وأوروبا بعض النباتات الجديدة، وعدداً من أساليب الري، وأهم النباتات التي أدخلها العرب وظهرت في لهجات أسبانيا وصقلية وأوروبا الغربية بأسماء تكشف أصالتها العربية مثل: الريحان Arroyon، الحزامى Alhuzema، الموز Banane، نارنج Naronga، الزعفران Azafran، ليمون Liom، باذنجان Berenjena، البرقوق Albericaguo، القطن Coton، والرز Riz، وقصب السكر Sugra، والقهوة Café^(٨٣).

وقد أمدت كتب الجغرافيين العرب بأسماء هذه النباتات، ووسائل الري التي أدخلها العرب إلى أسبانيا ومنها شاع إلى أوروبا، ومن أساليب الري (قنوات الري والنواعير) التي تعتمد على قوة تيار الماء المعروفة باسمها العربي (الشادوق) والقنوات هي مجاري المياه تحت الأرض يتكون عن طريق الربط بين سلسلة من الآبار ويستخدم في استنباط موارد المياه الجوفية ونقلها مسافات شاسعة، فكلمة (مجريط) في الأسبانية مشتق من الاسم العربي (مجرى) وهذا الاسم يتعلق بهذه الممرات الاسلامية^(٨٤). وقد أسهمت أساليب الري التي أخذت عن العرب بشكل هام في تكثيف الزراعة في أسبانيا وفي جنوب أوروبا، واستعملت الألفاظ العربية الدالة على السقاية أيضاً مثل: الساقية Acequia، الناعورة Noria، السد Azud، البركة Alburca^(٨٥).

وأزدهرت الحياة الاجتماعية في الأندلس بظهور المدارس الموسيقية، فقد شاع الغناء

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

الحجازي والموسيقى الحجازية، وانتقل هذا الفن إلى الأندلس عن طريق الجوارى والمغنيات والمغنين، ولعبت الموسيقى العربية دورها في الأندلس، فالمدرسة الموسيقية التي أسسها زرياب وأبناؤه وبناته وجواريه كان لها تأثير كبير في الحياة الاجتماعية، وعرف الأوربيون في لغتهم أسماء كثير من الآلات الموسيقية العربية واستعملوها بألفاظها العربية، مثل: القانون Kanoan، الطبل Timbal، النقارة Naker، القيثارة Cuitar، الرباب Rebee، والعود Luth^(٨٦).

وأدخل المسلمون بعض صناعات المشرق العربي إلى الأندلس ومنها انتقلت إلى أوروبا خاصة صناعة السجاد، وبعض أنواع الأقمشة التي عرفت بأسمائها العربية فالقماش المعروف باسم (موسلين) نسبة إلى الموصل، والعتابي Tabby نسبة إلى حي عتابي ببغداد، وأطلس والخمير Camiel، وموهير Mohair وأصله في العربية مخير^(٨٧). واهتم الأندلسيون بالتاريخ واعتبروه علمًا له أصوله، ومن المؤرخين الأندلسيين أحمد ابن محمد الرازي، وابن حيان القرطبي، وابن الخطيب فقد ألفوا في تاريخ المدن والتاريخ العام وفي التراجم، فقد ألف علي بن أحمد بن حزم كتاب جمهرة أنساب العرب^(٨٨) وأشهر ما ألف في تاريخ الأديان الفصل في الملل والأهواء والنحل^(٨٩) وألف أبو محمد يوسف بن عبد البر كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب^(٩٠) وكتاب الدرر في اختصار المغازي والسير^(٩١) وألف أبو المعارف عبدالرحمن بن محمد الرعيني كتاب الباهر في التاريخ، ويعد ابن الفرضي من مشاهير من أهتمم بالتراجم، يتجلى هذا في كتابه تاريخ علماء الأندلس وكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لأبي بكر محمد القرطبي المعروف بابن القوطية، وكتاب مختصر تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي (ت ٣٧٠هـ) وكتاب القضاة بقرطبة لمحمد بن حارث الخشني (ت ٣٦٠هـ) وكتاب المقتبس في أخبار بلد الأندلس لأبي مروان بن حيان القرطبي (ت ٤٦٩هـ) وكتاب سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ) وكتاب آداب السياسة في الوزارة لابن الخطيب السلماني. وكان للمسلمين في الأندلس نصيب وافر في علم الجغرافية، فمنهم من له مصنفات في

● توفيق سلطان البيوزبكي

الجغرافية على درجة عالية من الأهمية، منهم أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري في كتابه ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك وقد نشر الدكتور عبدالعزيز الأهواني في مدريد عام ١٩٦٥ جزءاً من هذا الكتاب تحت عنوان نصوص عن الأندلس.^(٩٢) الذي يعد واحداً من أهم كتب جغرافية الأندلس وتاريخها وخطط مدنها. ومن جغرافي الأندلس أيضاً أحمد بن محمد الرازي المتوفي سنة ٣٣٤هـ وله عدة مؤلفات في هذا المجال من أشهرها كتاب مسالك الأندلس الذي يدور معظمه حول صفة الأندلس، ولكن من المؤسف أن معظم هذا الكتاب فقد، ولم يصلنا إلا جزء يسير منه فقط. ومن اشتهر من الجغرافيين أيضاً الأدرسي الذي عمل خارطة دائرية للعالم. وصنع هيئة للعالم على شكل كرة من الفضة رسم عليها أقاليم العالم وبحاره ومدنه المهمة، ومن الرحالة الجغرافيين ابن جبير في كتابه الرحلة وابن بطوطة في كتابه نزهة المشتاق فقد جاب آسيا الصغرى وآسيا الوسطى والهند والصين وأفريقيا ووصف جميع هذه الدول.

وعني المسلمون في الأندلس بالدراسات الفلسفية، فنقلوا إلى الغرب فلسفة اليونان وما أضافوا إليها، وكانت من أكبر مشكلاتهم الفلسفية محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة، وأكبر فلاسفتهم ابن رشد المشهور بشروحه لفلسفة أرسطو، وقد أثرت تأثيراً قوياً في أوروبا، وأشهر كتبه كتاب تهافت التهافت رد به على الامام الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة. ومن فلاسفة الأندلس أيضاً ابن ماجه وابن طفيل صاحب قصة حي بن يقظان التي ترجمت إلى اللاتينية والهولندية ونقلت إلى أكثر اللغات الأوربية. ولم يكن اهتمام العرب بعلم الحيوان أقل من اهتمامهم بالعلوم الأخرى التي أبدعوا في دراستها، فقد برز العديد من العلماء العرب الذين ألفوا في حياة الحيوان، ووضعوا المؤلفات والمصنفات الكثيرة حولها خاصة وأن الحيوانات جزء مهم من حياة الإنسان سواء أكان من الناحية الاقتصادية أو الجمالية، فذكروا أنواعها من وحشية وأليفة، وطيور، وحشرات، وأسماك، ووصفوها وصفاً دقيقاً، وبينوا أشكالها وصفاتها وطبائعها^(٩٣).

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

فانتقلت أسماء كثير من الحيوانات والطيور والأسماء بألفاظها العربية إلى أوروبا وأفريقيا وآسيا^(٩٤). إضافة إلى التي مازالت تستعمل بألفاظها العربية حتى الوقت الحاضر في اللغات الأوربية^(٩٥).

ومن أسماء هذه الحيوانات: الحصان Alizan، الغزال Algaasele، كلب Cleb، دب Dub، زرافة Cirrafo، صقر Sakre، الغول A gol، الفيل Fau، يربوع Grbo، ببغاء Pape، وحيد القرن Aboukorn^(٩٦)، ابرة (أنثى وحيد القرن) Abafa، بكر (الجمل الصغير) Albacore، آيل (نوع من الغزلان) Ariel، ضبع Dabuh، فندى (نوع من الفئران) gundi، حرذون (نوع من السمالي) Haudim، الحر (نوع من الطيور) Alhorre، العقرب Alacran^(٩٧)، وغيرهم العديد من أسماء الحيوانات التي ما زالت تستعمل أسماؤها في أوروبا.

لقد كان تأثير المسلمين الخلفي على الأندلس وعلى أوروبا كبير جداً، فقد أشار لويون ما ذكره سبواونلي في كتابه عن القرآن بقوله: «أسفرت تجارب العرب وتقليدهم عن تهذيب طبائع سننوراتنا الغليظة في القرون الوسطى وتعلم فرساننا أسمى العواطف وأنبأها وأرحمها من غير أن يفقدوا شيئاً من شجاعتهم^(٩٨)»، ويقول أيضاً: كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم في العالم، وإن هذا التأثير خاص بالعرب وحدهم، فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم، وأن العرب هذبوا البرابرة بتأثيرهم الخلفي، وأنهم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافي فكانوا ممدنين لنا وأئمة لنا ستة قرون^(٩٩).

إن التراث العربي الإسلامي في النواحي العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والروحية قد انتشر سياسياً وحضارياً وحربياً في جنوب أوروبا وغربها وأسس المسلمون مراكز لحضارتهم فيها، وقد نبغ في هذه المراكز مترجمون نقلوا جوانب مهمة من التراث العربي الإسلامي إلى لغاتهم، فكانت طليطلة وأشبيلية وغرناطة وقرطبة من أشهر مراكز الترجمة عن العربية، فكانت في أشبيلية كلية عربية لاتينية تعني بترجمة كتب الفلسفة

● توفيق سلطان البيوزبكي

العربية وقد أثرت فلسفة ابن رشد بصورة خاصة في الغرب وولدت حركات ثورية على تعاليم الكنيسة. وأصبحت هذه الكتب مراجع معتمدة في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر»^(١٠٠).

وقد حاول بعض الأوربيين التقليل من شأن المسلمين في نهضة أوروبا وازدهارها وهم ينسون مثلاً أن الإدريسي والخازن قد سبقا نيوتن في القول بالمجاذبية، وأن ابن النفيس قد سبق «هارفي» إلى كشف الدورة الدموية، وأن ابن مسكويه قد سبق «دارون» في القول بالتطور، وابن خلدون قد سبق «لامارك» في القول في أثر البيئة على الأحياء، وأن ابن سينا قد سبق علماء الغرب في الطب والمعادن والنبات والحيوان، وأن ابن يونس وابن حمزة قد مهدوا كثيراً بكشوفهما إلى معرفة اللوغاريتمات وحساب التكامل والتفاضل، وأن الخوارزمي أول من ألف في الحساب والجبر بطريقة علمية منظمة، وأول من استعمل الأرقام في الحساب وللدلالة على عظم التراث العلمي العربي ما خلفوه في خزائن الكتب الموجودة في العالم والمحفوظ منها أسماؤهم في فهارس الكتب لتثبيت مدى عظم الحضارة العربية في مختلف صنوف العلم والمعرفة، وبذلك فقد كان للحضارة الإسلامية الإسلامية فضل جليل على أوروبا وكانت عاملاً مهماً في نهضتها.

المصادر:

١ - ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)، مطبعة الحياة بيروت ١٩٦٥.

٢ - ابن بصال عبدالله محمد بن إبراهيم الطليطلي (كتاب الفلاحة) ١٩٥٥.

٣ - ابن جلجل أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي (طبقات الأطباء والحكماء)، القاهرة ١٩٥٥.

٤ - ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد (المقدمة) تحقيق علي عبدالواحد، القاهرة ١٩٦٢.

ثقافتنا للدراسات والبحوث المجلد ٥ - العدد العشرون - ١٤٣١ - ٢٠١٠

١٤٠

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

- ٥ - ابن الخطيب لسان الدين (الإحاطة في أخبار غرناطة)، طبعة عنان القاهرة ١٩٥٦.
- ٦ - ابن عذاري أبو عبدالله محمد المراكشي (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب)، طبعة دوزي ليدن ١/١م.
- ٧ - ابن الفرضي أبو الوليد عبدالله بن محمد (تأريخ علماء الأندلس)، طبعة كوديرا - مدريد ١٨٩٢م.
- ٨ - الإدريسي أبو عبدالله محمد بن محمد (٥٦٠هـ) (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) نشرة دوزي ليدن ١٨٦١.
- ٩ - بالتشيه انخل جنثال (تاريخ الفكر الاندلسي) ترجمة حسين مؤنس للقاده ١٩٥٥.
- ١٠ - النغلي صاعد بن أحمد صاعد التغلبي الأندلسي (طبقات الأمم) النجف ١٩٦٧.
- ١١ - الحجبي عبدالرحمن (الكتب والمكتبات في الأندلس) - مجلة كلية الدراسات الاسلامية/ العدد الرابع بغداد ١٩٧٢.
- ١٢ - داغر أسعد (حضارة العرب).
- ١٣ - الدوميلي: (العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالي) ترجمة عبدالحليم النجار، القاهرة ١٩٦٢.
- ١٤ - زكريا زكريا هاشم (فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم) دار النهضة مصر ١٩٧٠.
- ١٥ - سالم سيد عبدالعزيز (تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس) دار المعارف - لبنان ١٩٦٢.
- ١٦ - شريف م، م (دراسات في الحضارة الاسلامية) ترجمة أحمد شلبي - القاهرة ١٩١٦.

● توفيق سلطان البيوزيكي

- ١٧ - شاخت شاخت وبوزورث (تراث الاسلام) - ترجمة محمد زهير السمهوري
تحقيق شاكر مصطفى الكويت ١٩٧٨.
- ١٨ - طلفاح خير الله (حضارة العرب في الأندلس) دار الحرية بغداد ١٩٧٧.
- ١٩ - الطويل توفيق (العرب والعلم في عصر الاسلام للذهبي) دار النهضة العصرية
٩٦١.
- ٢٠ - العبادي أحمد مختار (في التاريخ العباسي والأندلسي) مطبعة دار النهضة
بيروت ٩٧١.
- ٢١ - عجيل كريم (الحياة العلمية في مدينة بلنسية) مؤسسة الرسالة بغداد ١٩٧٥.
- ٢٢ - عبدالرحمن حكمت نجيب (دراسات في تاريخ العلوم عند العرب) مطبعة جامعة
الموصل ١٩٧٧.
- ٢٣ - عبدالبديع لطفي (الاسلام في أسبانيا) القاهرة ١٩٥٨.
- ٢٤ - هتان محمد عبدالله (دول الطوائف) القاهرة ١٩٦٠.
- ٢٥ - (تراجم اسلامية شرقية وأندلسية) القاهرة ١٩٧٥ مكتبة الخانجي.
- ٢٦ - (نهاية الأندلس).
- ٢٧ - العلي صالح أحمد (دراسة العلوم الرياضية ومكائنها في الحضارة الاسلامية)
مجلة المورد مجلد ٣ العدد ٤ لسنة ١٩٧٤.
- ٢٨ - العزيزات يوسف شويحات (دور العرب في ثقافة العالم وحضارته).
- ٢٩ - عبد مصطفى لبيب (الكيمياء عند العرب) القاهرة ١٩٦٧.
- ٣٠ - فنواقي الأب شحاته (تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والوسيط) دار
المعارف مصر ١٩٥٩.
- ٣١ - الكرمللي انستاس (فضل العرب على علم الحيوان) مجلة المجمع الطبي العربي
بدمشق المجلد ١٩ لسنة ١٩٤٤.
- ١٤٢ ثقافتنا للدراسات والبحوث المجلد ٥ - العدد العشرون - ١٤٣١ - ٢٠١٠

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

٣٢ - لوبون غوستاف (حضارة العرب) ترجمة عادل زعيتر نشر مطبعة البابي الحلبي
١٩٦٩.

٣٣ - ماجد عبدالمنعم (تاريخ الحضارة الإسلامية) ط ٣ كلية الانجلو القاهرة ١٩٧٣.

٣٤ - مقدسي شمس الدين (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) طبعة دي خوية
ليدن ١٩٠٦.

٣٥ - المقري أحمد بن محمد (نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب) القاهرة
١٩٤٩.

٣٦ - مظهر جلال (أثر العرب في الحضارة الأوربية) دار الرائد بيروت ١٩٦٧.

٣٧ - مؤنس حسين (فجر الإسلام) الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٥٩.

٣٨ - (تاريخ الجغرافية والجغرافيين) - مدريد ١٩٦٧.

٣٩ - النعيمي سليم (ألفاظ عن جامع المفردات لابن البيطار) مجلة المجمع العلمي
العراقي المجلد ٢٧ لسنة ١٩٧٦ بغداد.

٤٠ - نوفل عبدالرزاق (المسلمون والعلم الحديث) بيروت ١٩٧٣

٤١ - ياقوت شهاب الدين أبو عبدالله الحموي (معجم البلدان) طبعة الخانجي -
القاهرة.

٤٢ - Tawfik Abdullah Aziz (Le Lexiq Francais D' Origine Arab)
1977

رسالة متريز غير منشورة جامعة بول فاليري مونبلييه الثالثة كلية الآداب والعلوم
الانسانية.

● توفيق سلطان البيوزيكي

الهوامش:

- ١- لوبون: حضارة العرب ص ٢٦٣.
- ٢- ابن عذاري: البيان المغرب ج٢ ص ١٧.
- ٣- لوبون: حضارة العرب ص ٢٦٦.
- ٤- العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٢٨٥، محمد عبدالعزيز عثمان:
المرأة العربية في الأندلس مجلة اتحاد المؤرخين العرب العدد الثالث عشر سنة ١٩٨٠ ص ١٠٣.
- ٥- حسين مونس: فجر الاسلام ص ٤٢١.
- ٦- العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣١٦.
- ٧- لوبون: حضارة العرب ص ٢٦٦.
- ٨- المقرئ: نفح الطيب ج١ ص ٢٤٧.
- ٩- توفيق عزيز: المعجم الفرنسي ذات الأصل العربي ص ٣٧ رسالة متريز غير منشورة جامعة مونبليه الثالثة.
- ١٠- لوبون: حضارة العرب ص ٢٧٧.
- ١١- غسان: نهاية الأندلس ص ٣٧٩ - ٣٨٠، لوبون: حضارة العرب ص ٥٨٢.
- ١٢- لوبون: حضارة العرب ص ٢٧٣.
- ١٣- المصدر السابق ص ٢٧٤.
- ١٤- نفس المصدر السابق ص ٢٧٦.
- ١٥- زكريا هاشم: فضل الحضارة العربية ص ٢٥٣.
- ١٦- ابن عذاري: البيان المغرب ص ٣٣.
- ١٧- المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٢٣٤، ابن الخطيب، الاحاطه، تحقيق محمد عبدالله عفاف ج١ ص ١٠٩.
- ١٨- ياقوت: معجم البلدان ج١ ص ٢٦.
- ١٩- العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣٥٩.

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

- ٢٠- شاخت: تراث الاسلام ص١٣٥.
- ٢١- توفيق عزيز: المعجم الفرنسي ذات الأصل العربي ص ٤٠ رسالة متريز غير منشورة جامعة موتبليه الثالثة.
- ٢٢- شاخت: تراث الاسلام ص١٣٦.
- ٢٣- توفيق عزيز: المعجم الفرنسي ذات الأصل العربي ص ٤١.
- ٢٤- المقري: نفع الطيب ج٢ ص ١٥.
- ٢٥- سيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص٢٠٦.
- ٢٦- كريم عجيل: الحياة العلمية في مدينة بلنسية ص٢٧.
- ٢٧- ابن عذاري: البيان المغرب ج٢ ص ٢٤٥.
- ٢٨- ابن خلدون: المقدمة ج٢ ص ١٢٤٠.
- ٢٩- ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص٩٨.
- ٣٠- العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٤٢٠.
- ٣١- كريم عجيل: الحياة العلمية في بلنسية ص ٢٦٣.
- ٣٢- خير الله طلفاح: حضارة العرب في الأندلس ص ١٥٣.
- ٣٣- العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٤٢٠.
- ٣٤- المصدر السابق ص ٤٢١.
- ٣٥- أنخل جنتالت بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مونس ص ٢٢١.
- ٣٦- عبدالرحمن المحجي: الكتب والمكتبات في الأندلس ص ٣٦١ مجلة كلية الدراسات الاسلامية العدد الرابع، بغداد ١٩٧٢.
- ٣٧- يوسف شويحات العزيزات: دور العرب في ثقافة العالم وحضارته ص ١٧٠.
- ٣٨- طلفاح: حضارة العرب في الأندلس ص ١٥٠.
- ٣٩- محمد زكريا عتاني: الموشحات الأندلسية ص ٢١ وما بعدها الكويت ١٩٨٠.
- ٤٠- زكريا هاشم زكريا: فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٥٧٢.

● توفيق سلطان البيوزيكي

- ٤١- عثمان: دول الطوائف ص ٤٠٨٤.
- ٤٢- العبادي: في التاريخ السياسي والارى ص ٣٧٣.
- ٤٣- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ص ٦٤٧.
- ٤٤- العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣٥٥٩.
- ٤٥- لوبون: حضارة العرب ص ٢٨٣.
- ٤٦- العبادي: ص ٤١٤.
- ٤٧- الإدريسي: نزهة المشتاق ص ٣١٢.
- ٤٨- ابن عذارى: البيان المغرب ج٢ ص ٢٣١.
- ٤٩- لوبون: حضارة العرب ص ٢٨٤.
- ٥٠- المصدر السابق ص ٢٩٠ - ٢٩١.
- ٥١- شاخت: تراث الاسلام ص ١٣٧.
- ٥٢- توفيق عزيز: المعجم الفرنسي ذات الأصل العربي ص ٤٢.
- ٥٣- لوبون: حضارة العرب ص ٥٦٦ - ٥٦٧.
- ٥٤- شاخت: تراث العرب ص ١٢٥.
- ٥٥- لوبون: حضارة العرب ص ٥٧٢ - ٥٧٣.
- ٥٦- شاخت: تراث الاسلام ص ١٣٦، توفيق عزيز المصدر السابق ص ٤٥.
- ٥٧- جلال مظهر: أثر العرب على الحضارة الأوروبية ص ٤١٢.
- ٥٨- المقرئ: نفع الطيب ج٤ ص ٣٤٥ وما بعدها.
- ٥٩- حكمت نجيب: تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٣١، عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة ص ٢٢٥.
- ٦٠- مصطفى لبيب عبدالغني: الكيمياء عند العرب ص ١٠٩.
- ٦١- حكمت نجيب: تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٧٩.
- ٦٢- ابن بصال، كتاب الفلاحة ص ١١ - ٣٦.

● الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا

- ٦٣- عنان: تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ص٢٦٦.
- ٦٤- شريف: دراسات في الحضارة العربية ترجمة شلبي ص ٨٠.
- ٦٥- عبدالرزاق نوفل: المسلمون والعلم الحديث ص ٦٤.
- ٦٦- المصدر السابق ص ٦٥.
- ٦٧- ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء ٥٠١.
- ٦٨- الدوميلي: العلوم عند العرب ص ٣٥٣.
- ٦٩- حكمت نجيب: تاريخ العلوم ص ٥٧.
- ٧٠- حكمت نجيب: المصدر السابق ص ٥٨.
- ٧١- ابن جلجل: طبقات الأدباء والحكماء ص ١١٣.
- ٧٢- التغلبي: طبقات الأمم ص ١٠٣.
- ٧٣- المصدر السابق ص ٨٤، ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ج٢ ص ١٢٦.
- ٧٤- حكمت نجيب: تاريخ العلوم ص ١٨٦.
- ٧٥- صالح العلي: دراسة العلوم الرياضية ومكانتها في الحضارة الاسلامية. مجلة المورد، مجلد ٣ العدد ٤ لسنة ٩٧٤ ص ٤٥.
- ٧٦- حكمت نجيب: تاريخ العلوم ص ٣٣١.
- ٧٧- توفيق الطويل: العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي ص ٤٣.
- ٧٨- ابن أبي أصيبعة: عيون الأخبار في طبقات الأطباء ص ٥٠٠، الدوميلي: العلم عند العرب ص ٤٠١.
- ٧٩- الدوميلي: العلم عند العرب ص ٤١٤.
- ٨٠- ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء ص ٦٠٢.
- ٨١- سليم النعيمي: ألفاظ عن جامع المفردات لابن البيطار، مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٢٧ لسنة ٩٧٦ ص ٣١.
- ٨٢- شحاته قنواقي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والوسيط ص ١٧٣ وما بعدها.
- ٨٣- عبدالمنعم ماجد: الحضارة الاسلامية ص ٢٨٦.

● توفيق سلطان البيوزيكي

- ٨٤- شاخت: تراث العرب ص٣٠٨.
- ٨٥- المصدر السابق ص ٣١٠.
- ٨٦- عبدالمنعم ماجد: الحضارة الاسلامية ص ٢٨٥ - ٢٨٦.
- ٨٧- زكريا هاشم: فضل الحضارة ص ٥١٤.
- ٨٨- حققه عبدالسلام هارون وصدر عن دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.
- ٨٩- انظر تاريخ الفكر ص ٢٢٠.
- ٩٠- حققه علي محمد الجبوي بأربعة أجزاء طبع القاهرة.
- ٩١- جذوة ص٣٦٨.
- ٩٢- ياقوت: معجم البلدان ج٢ ص ٥٨٢، ج٤ ص ٥١٧.
- ٩٣- أسعد داغر: حضرة العرب ص ٢١٧.
- ٩٤- انستانس الكرملي: فضل العرب على علم الحيوان، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٠٤٤ ج١٩ ص٣٢٦.
- ٩٥- جلال مظر: أثر العرب في الحضارة الأوربية ٢ ص ٤٠.
- ٩٦- توفيق عزيز: المعجم الفرنسي ذات الأصل العربي ص ٥٠.
- ٩٧- شاخت: تراث الاسلام ص ١٣٧.
- ٩٨- لوبون: حضارة العرب ص ٥٧٦.
- ٩٩- المصدر السابق ص ٥٧٩.
- ١٠٠- زكريا: فضل العرب ص ٣٧٣.